موسوعة

حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواجهة الشبهات

المجلد الثالث

شبهات حول الإعجاز العلمي في الإنسان

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنّة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

الشبهة الأولى

دعوى اقتباس الإسلام علم الأجنة من الأمم السابقة (*)

مضمون الشبهة:

لما عجز أعداء الإسلام عن الطعن في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ولم يجدوا بُدًّا من الاعتراف بوقوعه بعد إقرار العلم الحديث له - راحوا يزعمون أن ما أتى به محمدٌ ﷺ من حقائق ومعلومات في علم الأجنة مأخوذ من الأمم السابقة؛ كاليونانيين والأطباء العرب وأصحاب الكتب المقدسة.

ويستدلون على ذلك بأن أبقراط وأرسطو وجالين قد نصُّوا على المراحل التي يمرُّ بها الجنين، وهي نفس المراحل التي ذكرها القرآن. كما أن الحارث بن كِلْدة والنضر بن الحارث كانا على علم واسع بالطب وعلم الجنين. هذا بالإضافة إلى أن الكتاب المقدس قد ذكر مراحل تكوُّن الجنين، فقد جاء في العهد القديم: "يَداكَ كوَّنتاني وصنعتانِي كُلِّي جميعًا. أفتبتلِعُني. اذْكُرْ أنك جبلتني كالطين. أفتُعِيدُني إلى التراب، ألم تَصُبَّني كاللبن وخثَّرتني كالجبن، كسوتني جلدًا ولحمًا فنسجتني بعظام وعصب..." (أيوب ١٠: ٨).

ويتساءلون: أي إعجاز علمي عن الأجنة في القرآن والسنة يتحدث عنه المسلمون، وما هي إلا إشارات أخذها الإسلام عن الأمم السابقة عليه؟

وجوه إبطال الشبهة:

١) إن ما جاءت به الحضارات السابقة على الإسلام من تصورات تخص الجنين وتخلُّقه، هي في معظمها لا تعدو أن تكون خرافات وتخمينات لا تنبني على متابعة ودراسة لأطوار الجنين ومراحله؛ نظرًا لانعدام التقنيات العلمية الحديثة لديهم، ومن أوضح ما يدل على ذلك ما ذكره أبقراط وأرسطو وجالين من أخطاء، مثل إخبارهم بأن الجنين يتكون من دم الحيض ومنيِّ الرجل، وأن اللحم يُخلق قبل العظام، ثم جاء القرآن وقرر أن الجنين يتكون من النطفة الأمشاج التي تشمل نطفة الرجل ونطفة المرأة، وأن العظام تُخلق ثم تُكسى باللحم، فلو كان القرآن قد استقى معلوماته من هذه الحضارات لما ساغ أن يأتي بخلافها.

٢) لقد كان علم الطب في قوم النبي ﷺ قبل بعثته من أضعف العلوم عندهم، وإن اشتهر منهم الحارث بن كلدة والنضر بن الحارث؛ إذ كان مرتبطًا بالسحر، واقتصر على الوسائل البدائية؛ مثل الكي والبتر والفصد، أما علم الأرحام والأجنة فلم يعرف منه العرب إلا ما تعلَّموه من اليهود على ما به من اعتقادات خاطئة، فإذا كان هذا هو حال القوم الذين نشأ فيهم النبي ﷺ، فكيف يستقي منهم أدق تفاصيل الجنين التي لم يُتوصل إليها إلا بأحدث الأجهزة والتقنيات في القرن السابق؟!

(*) رد الشبهات حول علم الأجنة في القرآن والسنة، د. مصطفى عبد المنعم، مقال منشور بموقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. www.quran-m.com

٣) لقد نصَّ الكتاب المقدس على أن الجنين يتخلق من دم الحيض؛ حيث يقوم المني بعقده مثلما تفعل الأنفحة باللبن فتحوله إلى جبن، ونص أيضًا على أن الجنين يُخلق جلده ولحمه ثم بعد ذلك تخلق العظام، وقد خالف القرآن ذلك في عدد من المواضع، بالإضافة إلى أنه قضى على خرافة اليهود في أن إتيان المرأة من ورائها يجعل الولد أحول؛ فقال ﷻ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، كذلك لم يُشِر الكتاب المقدس إلى تقديم السمع على البصر، وفضل رضاعة الطفل من أمه لمدة حولين، وقد أثبت العلم الحديث إعجازًا علميًّا في هذين الأمرين.

التفصيل:

أولا. مخالفة القرآن والسنة للحضارات السابقة في علم الأجنة:

إن الباحث في تاريخ العلوم يقابل كثيرًا من النظريات العلمية التي آمن العلماء بصحتها زمنًا طويلًا، وخالفت ما جاء في القرآن والسنة، وجاء بعد ذلك زمنٌ اكتشف العلماء فيه أن تلك النظريات لم تكن صحيحة ألبتة، وأن ما جاء في القرآن والسنة هو الحق والصدق واليقين؛ ومن أوضح الأمثلة على ذلك حقائق علم الأجنة[١].

وقد شُغل الإنسان منذ أن وطأت قدماه الأرض بقضية التناسل، وحاول تفسيرها بتصورات متعددة وُجدت إشارات إليها في معظم الحضارات القديمة، ومن خلال هذه الإشارات يمكن دراسة تاريخ علم الأجنة وتطوره، لنتبين الصواب فيه من الخطأ، ولنعلم الفرق بين هذه النظريات وبين ما أخبر به القرآن الكريم والسنة النبوية من حقائق؛ لنقرر ما إذا كان القرآن قد اقتبس ما ذكره عن علم الأجنة من الأمم التي سبقته أم لا.

- **تاريخ علم الأجنة:**

تعود بداية علم الأجنة إلى أكثر من ستة قرون قبل الميلاد، وقسَّم علماء الأجنة هذا العلم إلى ثلاث مراحل أساسية؛ الأولى: المرحلة الوصفية، وتستمر منذ بدايته حتى القرن التاسع عشر الميلادي، والثانية: مرحلة علم الأجنة التجريبي، وتبدأ من نهاية القرن التاسع عشر حتى الأربعينيات من القرن العشرين، ثم تأتي المرحلة الثالثة، وهي مرحلة التقنية واستخدام الأجهزة، وهي التي نعيشها الآن.

والذي يعنينا من هذا التاريخ هو فترة ما قبل الإسلام، حتى تتبين لنا علاقة الإسلام بهذه الأمم السابقة عليه، ومدى اتفاقه أو اختلافه معهم فيما يخص علم الجنين.

- **علم الجنين عند المصريين القدماء:**

من الثابت قطعًا أنه لم يكن هناك في زمن الرسول ﷺ ولا قريبًا منه ما يمكن أن تُستقى منه بالخبرة البشرية هذه المعلومات العلمية الخاصة بعلم الأجنة، والموجودة في القرآن والسنة، فلم يكن إلا بعض التخمينات والخرافات عن هذا العلم، والتي ليس لها

---

١. موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي، د. أحمد شوقي إبراهيم، نهضة مصر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ج٢، ص٨٧.

علاقة من قريب أو بعيد بأصوله، أو انتقال الصفات، أو حدوث التشوهات الجنينية.

وقد تكلم في ذلك الفلاسفة والأطباء والحكماء من الإغريق والمصريين القدماء وغيرهم، وكان كلامهم في ذلك ضربًا من التخمين والتخرُّص، انبنى على السحر والشعوذة أو قياس الجنين البشري على أجنة الحيوانات والطيور؛ فقد وُجدت بعض السجلات المدونة من فترة السلالات الفرعونية الرابعة والخامسة والسادسة في مصر القديمة، وقد حمل مالا يقل عن عشرة أشخاص متعاقبين اللقب الرسمي "فاتح مشيمة الملك"، واقتضت المراسيم فيما بعد أن تحمل راية تمثل "مشيمة الملك" أمام موكب الفراعنة.

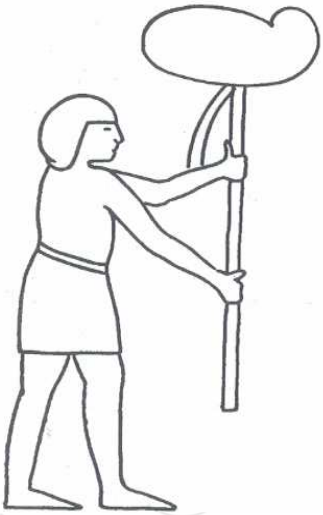

راية تمثل "المشيمة الملكية" لفرعون (*kleiss* ١٩٦٤م)

وكانت تُعزى إلى خواصِّ المشيمة قوى سحرية خفية في اختلاط ظاهر بين العلم والسحر، وكانت للنساء رُقًى وتمائم يتلونها عند الحمل والولادة، فلكي تضمن المرأة الحامل الحصول على ولادة سهلة وطبيعية كانت تستعين بتميمة تُصوِّر امرأة راقدة على سريرها في هدوء وراحة شديدتين، وإلى جوارها طفلها الذي وضعته في يُسْر وبلا معاناة، في تعلُّق واضح بالقوى السحرية والخفية. ودام ذلك الاعتقاد حتى عهد اليونانيين القدماء؛ حيث كان لعلم المنطق اليوناني أثره في فهم علم الأجنة.

وأقدم الوصفات المدونة للوقاية من الحمل، مدونة بالخط الهيرى (لغة مصر القديمة قبل الهيروغليفية) على ورق البردي، ومن العناصر الأساسية المكونة للوصفة رَوث التماسيح إلى جانب عناصر أخرى[١].

وكان المصريون القدماء يجهلون دور المني في تخلُّق الجنين، وإن كانوا يعتقدون أن هناك علاقة ما بين العضو الذكري والمني والحمل، وكان الرأى العلمي

١. علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، باكستان، ٢٥ ـ ٢٨ صفر، ١٤٠٨هـ/ ١٨ ـ ٢١ أكتوبر، ١٩٨٧م، ص٤، ٥.

لديهم أن المني ينبع من الحبل الشوكي، وربما يكون مرجع ذلك إلى الكهنة الذين كانوا يذبحون القرابين، وكانوا يعتقدون أن قضيب الثور امتداد لعموده الفقري؛ ومن هنا كان اهتمامهم بالعَظْمة الموجودة في آخر أربع أو خمس فقرات من العمود الفقري، عند العَجُز باعتبار أنها المسئولة عن الحفاظ على مني الرجل.

- **علم الأجنة عند الهنود:**

وقد وُجد ـ أيضًا ـ في مجال طب الأجنة الهندي رسالة سنسكريتية تعود إلى ١٤١٦ سنة قبل الميلاد، هذه الرسالة تُسمى: غربها أُوبانيشاد (***Garbha Upanishad***)، وتصف الأفكار القديمة المتعلقة بتطور الجنين.

وتشير هذه الرسالة إلى ما يأتي:

- من اتحاد الدم والمني يأتي الجنين إلى الوجود.
- وبعد التزاوج الجنسي يصبح الجنين بما يسمى (كلادا ***Kalada***)؛ أي جنين في اليوم الأول من عمره.
- وبعد مرور سبع ليالٍ يصبح الجنين بذرة.
- وبعد مرور أسبوعين يصبح الجنين كتلة مستديرة.
- وبعد مرور شهر يصبح كتلة متماسكة.
- وبعد مرور شهرين يتخلق الرأس.
- وبعد مرور ثلاثة أشهر تظهر منطقة الأوصال.

وظاهرٌ أن هذا يتنافى تمامًا مع الحقيقة، ويدل على دور الخيال في فهم مراحل تطور الجنين، وأن ما ذكره القرآن لا يمت إلى ذلك بصلة.

- **علم الأجنة عند اليونانيين:**

أما اليونانيون القدماء، فهم أول من ربط العلم بالمنطق بفضل تعليلهم لملحوظاتهم بالمنطق العقلي لا بالقوى السحرية الغامضة، ولكن مع هذا التقدم لم ينسجم منطقهم مع الحقائق الثابتة، وظلت التعليلات بعيدة عن الحقيقة؛ وذلك لأن العقل لا يستطيع وحده الوقوف على الحقائق، وإلا فإن الظنون تجتاحه ويتحول منطقه مملوءًا بالخرافات.

فكان أول من تكلم في هذا المجال أبقراط، ثم اشتهر أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م) بأبحاثه عن علم الأجنة، ثم كان جالين في القرن الثاني بعد الميلاد.

وجاء بعض منكري الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، وادَّعوا أن كل ما جاء به القرآن والسنة من معلومات حول علم الأجنة ما هو إلا إشارات مأخوذة من هؤلاء العلماء الذين سبقوا الإسلام. واستدلوا على ذلك بأن هؤلاء العلماء الثلاثة (أبقراط، أرسطو، جالين) ذكروا مراحل نمو الجنين وتطوره كما ذكرها القرآن؛ لذلك نذكرها كما ذكروها هم؛ حتى يتبين لنا الفرق بين ما ذكروه وما جاء به القرآن.

أولًا. مراحل نمو الجنين فيما قبل الولادة عند أبقراط:

نص كلامهم	ترجمته باللغة العربية
Stage 1: sperm	المرحلة الأولى: الحيوان المنوي.
Stage 2: mother´s blood desceds around the membrane.	المرحلـة الثانيـة: دم الأم ينحـدر حـول الغشاء.
Stage 3: flesh,fed through umbilicus	المرحلة الثالثة: اللحم، يتغذى عن طريق السرة.
Stage 4: bones	المرحلة الرابعة: العظام.

ثانيًا. مراحل نمو الجنين فيما قبل الولادة عند أرسطو:

نص كلامهم	ترجمته باللغة العربية
Stage1: sperm	المرحلة الأولى: الحيوان المنوي.
Stage2: Catamenia menstrual blood	المرحلة الثانية: دم الحيض.
Stage3: flesh	المرحلة الثالثة: اللحم.
Stage4: bones	المرحلة الرابعة: العظام.
Stage5: around the bones grow the fleshy parts	المرحلـة الخامسـة: حـول نمـو العظـام أجزاء سمين[1].

ثالثًا. مراحل نمو الجنين فيما قبل الولادة عند جالين:

نص كلامهم	ترجمته باللغة العربية
Stage1: the two semens	المرحلة الأولى: مني من الاثنين.
Stage1(B): plus menstrual blood	المرحلـة الأولـى (ب): بالإضـافة إلـى دم الحيض.
Stage2: unshaped flesh	المرحلة الثانية: لحم غير مميز الشكل.
Stage3: bones	المرحلة الثالثة: العظام
Stage3(B): flesh grows on and around the bones	المرحلـة الثالثـة (ب): نمـو اللحـم علـى العظام وحولها.

رابعًا. مرحلة نمو الجنين في القرآن الكريم كما ذكر المدعي:

نص كلامهم	ترجمته باللغة العربية
Stage1: nutfa sperm	المرحلة الأولى: المني.

١. رد الشبهات حول علم الأجنة في القرآن والسنة، د. مصطفى عبد المنعم، مقال منشور بموقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، www.quran-m.com

Stage2: alaga clot	المرحلة الثانية: الجلطة.
Stage3: mudagha piece or lump of flesh	المرحلة الثالثة: قطعة من اللحم.
Stage4: adaam bones	المرحلة الرابعة: العظام.
Stage5: dressing the bones with muscles	المرحلة الخامسة: كساء العظام بالعضلات.

وقبل الخوض في بيان الفرق بين مراحل هؤلاء العلماء الثلاثة ومراحل القرآن، نبين أن المدعين قد اخترعوا مراحل ما أنزل الله بها من سلطان وزعموا أن القرآن ذكرها، ولكن مراحل الجنين ذكرها القرآن صريحة في أكثر من موضع، قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (المؤمنون).

فالمرحلة الأولى من مراحل تكون الجنين هي "النطفة"، وهذه النطفة وصفها ربنا ﷻ في موضع آخر؛ فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾ (الإنسان: ٢)، والنطفة الأمشاج هي اختلاط ماء الرجل بماء المرأة. وهذا ما أثبته العلم الحديث؛ إذ صرح بأن الجنين يُخلق من الحيوان المنوي للرجل عند تلقيحه بويضة المرأة، ثم تنغرس هذه النطفة الأمشاج في قرارها المكين في الرحم.

ثم تأتي المرحلة الثانية وهي "العلقة"، وتبدأ منذ تعلق النطفة الأمشاج بالرحم، وتنتهي عند ظهور الكتل البدنية التي تعتبر بداية المضغة، وسميت بذلك لأنها تنشب وتعلق في جدار الرحم وتنغرز فيه، أو لأنها تشبه دودة العلق. ويكون بعد ذلك مرحلة "المضغة"، وسميت بذلك لأن الجنين فيها يكون قطعة من اللحم كأنها ممضوغة، وكأن أسنانًا انغرزت في الجنين ولاكته ثم قذفته. ثم تخلق "عظام الجنين" بتحول هذه المضغة إلى عظام، وتظهر براعم الأطراف وعضلاتها ثم تُكسى هذه العظام "لحمًا" بعد ذلك.

ودقة القرآن الكريم في وصف هذه المراحل جعلت علماء الأجنة في هذا العصر يعترفون بأن من يقول بهذا لابد أن يكون نبيًّا يأتيه الوحي من السماء، وأشهرهم **(كيث مور)**[1] أحد أكبر علماء الأجنة في العالم الذي يقول: إن هذه المعلومات عن مراحل

١. كيث مور: أستاذ علم التشريح والأجنة بجامعة تورنتو بكندا، وهو من أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم، في عام ١٩٨٤م، استلم الجائزة الأكثر بروزًا في حقل علم التشريح في كندا (جي - سي - بي) جائزة جرانت من الجمعية الكندية والأمريكية لاختصاصيِّ التشريح ومجلس اتحاد العلوم الحيوية.

الجنين لم يعرفها العلماء إلا بعد أكثر من ألف عام بعد نزول القرآن.

ويمكننا أن نوضح المراحل الصحيحة التي ذكرها القرآن بنصه مقارنة بما ادعاه هؤلاء على القرآن من اختلاق مراحل لم يأت بها القرآن، وذلك من خلال الجدول الأتي:

مراحل الجنين في القرآن كما ذكرها المدعي	مراحل الجنين في القرآن كما نصَّ عليها القرآن
المرحلة الأولى: المني.	المرحلة الأولى: النطفة الأمشاج المكونة من مني الرجل وبويضة المرأة.
المرحلة الثانية: الجلطة.	المرحلة الثانية: العلقة.
المرحلة الثالثة: قطعة من اللحم.	المرحلة الثالثة: المضغة.
المرحلة الرابعة: العظام.	المرحلة الرابعة: العظام.
المرحلة الخامسة: كساء العظام بالعضلات	المرحلة الخامسة: كساء العظام لحمًا.

ومن ثمَّ يتبين لنا تسمية المدعي لمراحل نمو الجنين بأسماء من عنده لم يذكرها القرآن ولا تدل على الصفة الحقيقية لهذه المراحل؛ فالأولى ليست منيًّا للرجل فقط، وإنما هى اجتماع مني الرجل وبويضة المرأة، والثانية ليست جلطة وإنما هي قطعة لحم معلقة بجدار الرحم، والثالثة ليست قطعة لحم فقط، وإنما هي قطعة كأنها ممضوغة.

وبنظرة عَجْلى إلى المراحل التي وردت عند (أبقراط وأرسطو وجالين) نجدها تختلف تمامًا عن مراحل نمو الجنين التي جاء بها القرآن وطبقها العلم الحديث؛ فأبقراط جعل منشأ الجنين من دم الحيض وحده، وأرسطو خالفه وجعله من دم الحيض ومني الرجل، وجالين خالفهما وجعله من دم الحيض ومني الرجل ومني المرأة، فأي شبه بين ذلك وبين ما جاء في القرآن الكريم من أن الجنين يُخلق من كلا الطرفين؛ حيث النطفة الأمشاج المكونة من ماء الرجل وبويضة المرأة؟! ولا دخل لدم الحيض في تكوُّن الجنين على الإطلاق[1].

وبذلك يكون القرآن قد تخلَّى عن هذا الخطأ الفاحش الذي أجمع عليه هؤلاء الثلاثة، وكذلك الأحاديث النبوية جاءت تبطل ذلك، يقول ابن حجر: "وزعم كثير من أهل التشريح أن مني الرجل لا أثر له في الولد إلا في عَقْده، وأنه إنما يتكون من دم

وكيث مور صاحب أشهر كتاب في علم الأجنة "the Developing human"، والذي ترجم لأكثر من خمس وعشرين لغة من لغات العالم، ويُدرس في معظم كليات الطب في العالم.

١. رد الشبهات حول علم الأجنة في القرآن والسنة، د: مصطفى عبد المنعم، مقال منشور بموقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، www.quran-m.com

الحيض، وأحاديث الباب تبطل ذلك"[١].

ومن هذا المقولة يتبين لنا تصحيح القرآن الكريم والسنة النبوية لمفهومين خاطئين؛ أولهما: عدم مشاركة مني الرجل بذاته في تكوين الجنين، وثانيهما: تكون الجنين من دم الحيض.

وكذلك لم يذكر هؤلاء الثلاثة شيئًا عن المرحلتين اللتين تليان النطفة وتسبقان العظام، وهما (العلقة والمضغة)، فمن أين جاء محمد ﷺ بهما إن لم يكن من عند الله تعالى، لاسيما وهما وصف دقيق لهاتين المرحلتين؟

ثم يأتي الخطأ الثالث وهو تقديم خلق اللحم على العظام، وقد قال به كلٌ من أبقراط وأرسطو، وهذا خطأ فاحش والصحيح ما جاء به القرآن الكريم من تقديم العظام على اللحم، يقول الدكتور **(كيث مور)**:

"During the seventh week, the skeleton begins to spread throughout the body and the bones take their familiar shapes. At the end of the seventh week and during the eighth week the muscles take their positions around the bone forms"

وهذا يعني: أثناء الأسبوع السابع، يبدأ الهيكل العظمي بالانتشار خلال الجسم، وتأخذ العظام أشكالها المألوفة، وفي نهاية الأسبوع السابع وأثناء الأسبوع الثامن، تأخذ العضلات (اللحم) موقعها حول تكوينات العظام[٢].

أليس في ترك محمد ﷺ لما جاء به أبقراط وأرسطو وجالين، والإتيان بما أثبت العلم حديثًا صحته ـ دليل على صحة ما جاء في القرآن والسنة؟!

وقد لخص أرسطو في بحثه عن الأجنة معتقدات أهل زمنه ورأيه فيها، واعتبرها تندرج تحت نظريتين:

الأولى: وهي أن الجنين يكون جاهزًا في ماء الرجل، فإذا دخل ماء الرجل الرحم انعقد، ثم نما كما تنمو البذرة في الأرض ثم استمد غذاءه من الرحم.

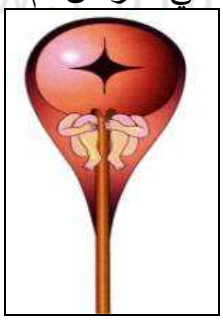

١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج١١، ص٤٨٩.

٢. الرد على شبهات حول (طور العظام)، مقال منشور بمنتديات أتباع المرسلين www.ebnmaryam.com

صورة للحيوان المنوي بداخله جنين كما كان متخيلا في القرن السابع عشر

الثانية: أن الجنين يتخلق من دم الحيض، حيث يقوم المني بعقده، مثلما تفعل الأنفحة باللبن فتعقده وتحوله إلى جبن، وليس للمني في إيجاد الولد دور قط، وإنما هو دور مساعد مثل دور الأنفحة في إيجاد الجنين.

وقد أيد أرسطو هذه النظرية الأخيرة ومال إليها، وقد كان أرسطو من المؤيدين لنظرية التخلق الذاتي التي تقول بتولد الدود والمخلوقات من العفونة والمواد المتحللة؛ ولذا تصور أن الجنين يتخلق من دم الحيض.

وقد ظلت هذه النظرية سائدة ردحًا من الزمن حتى جاء لويس باستور[١] وقضى عليها قضاءً تامًّا عام ١٨٦٤م؛ حيث أثبت أن العفونات مصدرها مخلوقات دقيقة جدًّا (تُدعى الميكروبات)، وقد أثبت غيره من قبله بسنوات أن المواد المتحللة والعفونات لا تولد الديدان ولا الحشرات، وإنما تتوالد هذه الحشرات نتيجة تجمع بيضها حيث ترميه الحشرات الطائرة أو الزاحفة، وتتولد اليرقات ثم تنمو اليرقات إلى حشرات.

ومنذ أن لخص أرسطو النظريات السائدة في عصره بالنسبة لتخلق الجنين، استمر الجدل محتدمًا بين أنصار نظرية الجنين الكامل المصغر الموجود في ماء الرجل، وأنصار الجنين الكامل المصغر في بويضة المرأة، ولم يفطن أحد من هؤلاء الباحثين لمدة ألفي عام أن كلًّا من الذكر والأنثى يساهم بالتساوي في تكوين الجنين.

واستمرت هذه المعارك حتى عصر النهضة، بل إنها استمرت حتى بداية القرن العشرين، حيث شُيعت هاتان النظريتان إلى مثواهما الأخير، وذلك بعد أن تمكن (هيرتويج ***Hertwig***)[٢] في عام ١٨٧٥م من ملاحظة كيف يلقح الحيوان المنوي البويضة، وأثبت بذلك أن كلًّا من الحيوان المنوي والبويضة يساهم في تكوين البويضة الملقحة (الزيجوت)، وكان بذلك أول إنسان يشاهد عملية التلقيح هذه ويصفها.

وفي عام ١٨٨٣م تمكن (فان بندن ***Van Beneden***)[٣] من إثبات أن كلًّا من

www.eajaz.org

١. لويس باستور Louis Pasteur (١٨٢٢ - ١٨٩٥م) كيمائي وبيولوجي فرنسي، عَقم اللبن تعقيمًا جزئيًا بحرارة تقتل المعتضيات الضارة من غير أن تُحدث في المادة المعقمة تغييرًا كيمائيًا جوهريًا، وهو ما يُدعى اليوم بـ "البسترة".

٢. هيرتويج (١٨٤٩ -١٩٢٢م): عالم الأجنة والخلايا الألماني، كان أول من أدرك أن انصهار نواتي الحيوان المنوي والبويضة هو حدث مهم وضروري في عملية الإخصاب، ومن بين أبحاثه المهمة - دراساته في الناقلية النووية للصفات الوراثية، ونظرية الوراثية الحياتية، وأيضًا تأثير إشعاعات الراديوم على الخلايا الجسمية والتناسلية، كما قام هيرتويج مع أخيه ريتشارد بالتحقيق في تكوُّن فتحة الجسم وتشكلها، وكتب عدة أبحاث في نظرية الطبقة التناسلية، متسائلا عما افترضته من أن كلا من الأعضاء والأنسجة مشتقة من تنوع في طبقات الأنسجة الثلاثة.

٣. فان بندن (١٨٤٦ - ١٩١٠م): عالِم الأجنة والخلايا البلجيكي، المشهور باكتشافاته المركزة على الإخصاب وعدد الكروموسومات (الجسيمات الملونة) في الخلايا الجنسية والجسدية. وفي خلال سنواته الأولى عمل بندن مع والده البروفيسور في علم الحيوان في الجامعة الكاثوليكية في لوفاين، والذي قدم ملاحظاته لابنه في دراسته عن الحيوانات الأولية والديدان الخيطية ومجموعات متعددة من الحيوانات

البويضة والحيوان المنوي يساهمان بالتساوي في تكوين البويضة الملقحة.

وهكذا يبدو بوضوح أن الإنسانية لم تعرف بواسطة علومها التجريبية أن الجنين الإنساني (أو الحيواني) يتكون باختلاط نطفة الذكر ونطفة الأنثى إلا في أواخر القرن التاسع عشر، ولم يتأكد لها ذلك إلا في القرن العشرين[١]. بينما سبق القرآن الكريم إلى تقرير ذلك، بأن أكد أن الجنين يتكون بسبب النطفة الأمشاج (المختلطة) بين نطفة الرجل وبويضة المرأة، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ (الإنسان).

وقد كانت هاتان النظريتان راسختين كأنهما حقيقتان ثابتتان لا جدال فيهما، لكن ذلك لم يمنع علماءنا الكرام من تقديم النص القرآني عليهما، ومنهم ابن حجر كما أشرنا منذ قليل، وابن القيم حينما قال: "الجنين يُخلق من ماء الرجل وماء المرأة، خلافًا لمن يزعم من الطبائعيين، أنه إنما يُخلق من ماء الرجل وحده"[٢].

وكذلك قال القرطبي: "بيَّن الله تعالى في هذه الآية ـ يقصد قوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ (الحجرات: ١٣) ـ أنه خلق الخلق من الذكر والأنثى"[٣]، ورد على من قال بأن الخلق يخلق من ماء واحد، فقال: والصحيح أن الخلق إنما يكون من ماء الرجل والمرأة؛ لهذه الآية، فإنها نصٌّ لا يحتمل التأويل"[٤].

ومن هنا نتساءل: إذا كان القرآن الكريم قد خالف الرأي السائد في عصره والعصر السابق عليه والتالي له أيضًا، في القول بأن الجنين يخلق من ماء الرجل والمرأة على السواء، فكيف يدعي هؤلاء أن القرآن الكريم كان يقتبس معارفه عن علم الأجنة من الأمم السابقة عليه؟!

الأخرى، فقام فان بندن الأصغر بالتوسع في تلك الدراسات لتشمل مجموعة من الكائنات الشبيهة بالديدان والمتميزة بإنجابها نوعين من الأجنة.

ومنذ عام ١٨٨٣م قام فان بندن بنشر سلسلة من المقالات والأبحاث العلمية حول بيضة الإسكارس (الدودة المعوية عند الخيول)، في هذه الدراسات أظهر فان بندن أن الإخصاب متضمن للالتحام الضروري بين نصفي نواتين ـ واحدة من الذكر (الحيوان المنوي) والأخرى من الأنثى (البيضة) ـ وكل واحدة تتألف من نصف عدد الكروموسومات في خلايا الجسم، واكتشف أن لكل فصيلة ونوع من الكائنات الحية عددًا معيَّنًا من الكروموسومات يختلف عن غيره من الفصائل، وكذلك عمل على تطوير نظرية تكوّن الجنين في الثدييات، والتي أصبحت ـ لاحقًا ـ قانونًا علميًا مقياسيًا.

١. خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، الدار السعودية، السعودية، ط٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص١٨٤:١٨٨.

٢. تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ط١، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص٢٧٧.

٣. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١٦، ص٣٤٢.

٤. المرجع السابق، ج١٦، ص٣٤٣.

ثانيًا. معارف قوم النبي ﷺ عن علم الأجنة قبل الإسلام:

تفاوتت درجة العلوم التي انتشرت على عهد النبي ﷺ وفي قومه قبل بعثته، فقويت العلوم التي كانت لها صلة ببيئتهم؛ مثل الشعر، وتحسس مخابئ الماء تحت طبقات الأرض وعلم الأنواء (تعرُّف أوقات نزول الغيث عن طريق حركة النجوم ومنازلها)، ومعرفة آثار الأقدام "القيافة"، وعلم الأنساب، وضعفت العلوم الأخرى عندهم؛ مثل الطب ـ وإن كان فيهم أطباء معرفون؛ مثل الحارث بن كلدة ـ الذي كان مرتبطًا بالسحر، واقتصر على الوسائل البدائية؛ مثل الكيِّ والبتر والفصد "الشق" والتداوي بالأعشاب والحجامة، وانتشرت بعض العلوم التي ليس لها ركائز منطقية؛ مثل دراسة الأجرام السماوية (التنجيم والكهانة) لمعرفة الأمور الغيبية من حاضر ومستقبل.

أما علم الأرحام عند العرب ـ وهو الذي يعنينا ـ فلم يكن أحسن حالًا من سائر العلوم الأخرى، وكان قائمًا حينئذ على ما تعلَّمه العرب من اليهود، على ما به من اعتقادات خاطئة سوف نوضحها في الوجه القادم إن شاء الله تعالى[(١)].

وإذا كان هذا هو حال قوم النبي ﷺ الذين عاش بينهم وتعلم منهم، فأنَّى له ﷺ المقدرة على كشف حقائق علمية بلغت أقصى الدرجات من الدقة، وقد كان ﷺ أميًّا لا يقرأ ولا يكتب؟!

وقد اقتصر علمه ﷺ على المعرفة برعاية الغنم، وعلى بعض الأمور الحربية، وعلى بعض الأمور السياسية، وعلى بعض أمور التحكيم، وقد أتيح له السفر إلى اليمن أربع مرات في مهمات تجارية كان يقوم بها للاتجار بمال خديجة ـ رضي الله عنها، ومرة واحدة إلى مدينة بُصْرى في بلاد الشام، وهي أبعد مكان رآه رسول الله ﷺ[(٢)].

وإذا كان ﷺ معروفًا بين قومه بالصادق الأمين، فهل كان يترك الكذب على الناس ويكذب على الله ﷻ؟ بالطبع لا، لو كان هذا الكلام العلمي أخذه النبي ﷺ من الحارث بن كلدة والنضر بن الحارث أو غيرهما كما ادعى هؤلاء لأخبر أنه أخذه منهم، وكيف يأخذه منهم وهم لا يعلمونه؛ ففاقد الشيء لا يعطيه.

فمن المعروف أن هؤلاء قد شاعت فيهم الأساطير والخرافات وكان كثير من معلوماتهم مشوبًا بالخطأ كما أثبت العلم الحديث، فإذا كان هؤلاء هم مصدر معلومات رسول الله ﷺ ـ وحاشاه ـ فكيف ميَّز بين هذه الأفكار المتباينة، فأخذ الصحيح وهو النادر، وترك الباطل وهو الغالب؟!

إن القرآن الكريم ليس كتاب علوم ومعارف وإنما كتاب هداية وإرشاد، ولكن شاءت إرادة الله تعالى أن يتضمن إشارات من باب الإعجاز العلمي لم يكن لها في زمن تنزيل القرآن الكريم أي أثر في نشر الدعوة، ولم يكن لوجودها في ذلك الوقت

---

١. إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، كريم نجيب الأغر، دار المعرفة، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص٤٢، ٤٣.
٢. المرجع السابق، ص٤٤.

أية مساهمة في نشر الإسلام، ولم يُنقل إلينا أن أحدًا في زمن الرسول ﷺ قد أسلم من أثر الآيات التي نسميها الآن بمواضع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، إن كل من أسلم في زمن الرسالة كان بسبب ما جاء به الإسلام من عقيدة التوحيد الصافية النقية التي تخاطب الفطر السليمة، وبما دعا إليه من أخلاق وآداب فاضلة، قال تعالى:

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ (النساء: ٣٦)[1].

وإن كان لا أثر لهذه الإشارات العلمية في نشر الدعوة في زمنه ﷺ، فما الحاجة إلى أن يكذب ويأخذ هذه العلوم من غيره؟ إن العقل السليم يأبى ذلك.

ثالثًا. علم الأجنة بين القرآن والكتاب المقدس:

إن نظرة عَجْلى إلى ما يوجد في التوراة والإنجيل من معلومات خاطئة مأخوذة من النظريات البشرية التي كانت منتشرة حين جُمعت أسفار هذه الكتب ـ لتدل على أن الإسلام لم يأخذ منها شيئًا، وإنما جاء بعلم لا يمكن أن يأتي إلا من عند رب عليم خبير.

ولنضرب لذلك أمثلة عدة توضح مخالفة القرآن لِمَا ذُكر في الكتاب المقدس من معلومات عن علم الأجنة، من ذلك ما يأتي:

١. مراحل خلق الجنين:

ماذا قال الكتاب المقدس عن مراحل خلق الجنين؟ قال العهد القديم: "يَدَاكَ كوَّنتاني وصَنعتاني كُلِّي جميعًا. أفتبتلِعُني. اذْكُرْ أنك جبلتني كالطين. أفتُعِيدُني إلى التراب، ألم تَصُبَّني كاللبن وخثَّرتني كالجبن، كسوتني جلدًا ولحمًا فنسجتني بعظام وعصب..." (أيوب ١٠: ٨)، والمعنى: أنك صببتني كاللبن؛ أي: دم الحيض سائل، وحين يلتقي به الحيوان المنوي يخثِّره كما تخثِّر الأنفحةُ الحليبَ (اللبن) فتجعله جبنًا.

وكما أن المادة الرئيسة في تكوين الجبن هي الحليب (اللبن)، وما الأنفحة إلا عامل مساعد في التخثير، فإن الحيوان المنوي ـ بحسب تلك النظرية المغلوطة ـ ليس له إلا دور ثانوي في تكوين الجنين[2].

وبالنظر إلى ما ذكره أرسطو من النظريات التي كانت سائدة في عصره عن مادة تكوين الجنين، نجده رجَّح النظرية القائلة بأن الجنين يتخلق من دم الحيض؛ حيث يقوم المني بعقده مثلما تفعل الأنفحة باللبن فتحوله إلى جبن.

---

١. رد الشبهات حول علم الأجنة في القرآن والسنة، د. مصطفى عبد المنعم، مقال منشور بموقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، www.quran-m.com

٢. تكون الجنين "دراسة مقارنة بين القرآن الكريم والعهد القديم، د. عبد الرحيم الشريف، مقال منشور بموقع: منتديات أتباع المسيح عليه السلام. www.atba-almaseeh.com

ومن هنا يتبين أن ما ذُكر في الكتاب المقدس مأخوذ من هذه النظرية التي كانت منتشرة في عهد جمعه، وإذا أضفنا إلى ذلك الخطأ الثاني الوارد في هذا النص، وهو كسوة الجنين جلدًا ولحمًا، ثم بعد ذلك خلق العظام والعصب، وهذا خطأ فادح أثبته العلم الحديث ـ تبين أن هذا من وضع بشر وليس من كلام رب العالمين.

وأين التشابه بين ما ذكره الكتاب المقدس وما ذكره القرآن في أكثر من موضع، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (المؤمنون).

هذه هي مراحل تكوين الجنين في القرآن (النطفة ـ العلقة ـ المضغة ـ العظام ـ اللحم)، وهي حقائق علمية أكدها الطب الحديث كما أوضحنا آنفًا.

٢. تصحيح الإسلام لاعتقاد اليهود الخاطئ في إتيان المرأة من ورائها:

ثم نأتي إلى قضية ثانية تثبت يقينًا أن الإسلام لم يستقِ معلوماته في علم الأجنة من الكتب السابقة، بل تثبت تصحيحه لأخطائها التي تمسكوا بها سنين عددًا، وهذه القضية هي اعتقاد اليهود أن الرجل إذا جامع امرأته من ورائها جاء الولد أحول، روى البخاري في صحيحه عن جابر ﷺ قال: "كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحولَ، فنزلت ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (البقرة: ٢٢٣)[١]. فجاء القرآن مصحِّحًا لهذه الخرافات المنتشرة بين اليهود، وليس حاكيًا لها.

٣. تقديم السمع على البصر في القرآن:

لقد جاء ذكر السمع قبل البصر في القرآن الكريم، وذلك بإحكام شديد، فلم يذكر البصر قبل السمع إلا في آيات قلائل جاءت في معرِض الحديث عن العذاب أو الإنذار به أو وصف الكفار والمشركين دون إشارة إلى خلق الحاستين، أما الآيات التي تحدثت عن خلق الحاستين، فقد قدمت السمع على البصر في جميعها؛ حيث ترافقت كلمتا السمع والبصر في ٣٨ آية كريمة، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ (السجدة: ٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ (المؤمنون: ٧٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً ﴾ (الأحقاف: ٢٦)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (الإنسان: ٢).

---

١. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: التفسير، باب: نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم، وقدموا لأنفسكم، (٨/ ٣٧)، رقم (٤٥٢٨).

فلماذا تقديم السمع على البصر في القرآن؟ هل في ذلك حكمة وإعجاز علمي؟

الإجابة: لابد من سبب لذلك وإلا لقُدم البصر مرات وقُدم السمع مرات، وقد أثبت عدد كبير من العلماء الإعجازَ العلمي في تقديم السمع على البصر، ومنهم: الأستاذ الدكتور صادق الهلالي، والدكتور حسين اللبيدي، والدكتور عدنان الشريف، والدكتور محمد علي البار، والدكتور عبد السلام المحسيري، وجمع الدكتور زغلول النجار هذه الحقائق التي توصل إليها هؤلاء العلماء فيما يأتي:

أ- أن الأذن الداخلية للحميل تصبح قادرة على السمع في شهره الخامس تقريبًا، بينما العين لا تفتح ولا تتكون طبقتها الحساسة للضوء إلا في الشهر السابع من عمره، وحتى في هذا الوقت لا يستطيع الحميل أن يرى لعدم اكتمال تكوُّن العصب البصري، ولكونه غارقًا في ظلمات ثلاث.

ب- يمكن للجنين أن يسمع الأصوات بعد بضعة أيام من ولادته، وذلك بعد امتصاص كل السوائل وفضلات الأنسجة المتبقية في أذنه الوسطى والمحيطة بعظيماتها. أما حاسة البصر فتكون ضعيفة جدًّا أو معدومة، وتتحسن هذه الحاسة بالتدريج في الشهرين الثالث والرابع بعد الولادة وحتى الشهر السادس، وتستمر حاسة البصر في النمو عند الوليد حتى سن العاشرة.

ج- إن المنطقة السمعية في المخ تتكامل عضويًّا قبل المنطقة البصرية في مراحل الحميل وحتى بعد الولادة[1].

من هذا يتبين أن تقديم السمع على البصر في هذه المواضع العديدة يدل على أن هذا الكلام من عند علام الغيوب وليس من اختراع بشر.

ولكن هل أخذ القرآن الكريم هذا الإعجاز من الكتاب المقدس؟ لننظر ماذا قال الكتاب المقدس عن حاستي السمع والبصر، وهل قدم السمع على البصر على اعتبار خلقه أولًا كما ذكر القرآن؟

يقول الأستاذ عبد الوهاب الراوي: "بمراجعتي كتب التوراة والإنجيل، لم أجد إشارة إلى هذه الحقيقة العلمية ـ تقديم السمع على البصر ـ سوى إشارة واحدة في كتاب الأمثال: "الولد أيضًا يُعرف بأفعاله هل عمله نقيٌّ ومستقيم؟ الأذن السامعة والعين الباصرة الرب صنعهما كلتيهما... افتح عينيك تشبع خبزًا" (الأمثال١٣، ١١: ٢٠)، فتجد هنا السمع يسبق البصر الذي يُذكر بالإفراد وليس بالجمع كما في القرآن؛ على حين لا ذكر للأفئدة، أضف إلى ذلك أن هذه الإشارة لا تتكرر في مواضع أخرى من الكتاب المقدس، مما يؤدي بنا إلى استنتاج أن هذه الإشارة أتت عابرة، القصد منها بيان أن الأذن تسمع والعين تبصر، هذا أمر بدهي... فأين إذن المعجزة العلمية في هذا النص التوراتي، ثم اعلم بأن تتابع السمع والبصر في هذا النص ينعكس في نص آخر في كتاب إشعياء وإرمياء مثل: "ولا تحسِرُ عيون الناظرين وآذان السامعين تَصغى"

---

١. خلق الإنسان في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٥٤١، ٥٤٢.

(إشعياء ٣: ٣٢). "حتى متى أرى الراية وأسمع صوت البوق؟" (إرميا ٢١: ٤)"[١].

ومن هنا يتبين أن معجزة السمع والبصر في القرآن الكريم لا يمكن مقابلتها مع الذي ورد في كتب التوراة والإنجيل، وإذا كان ذكر السمع والبصر في التوراة والإنجيل لا يتطابق مع روح المعنى الذي أُريد منه في القرآن الكريم لهذه النعم، إذن يمكن القول أن كتبة التوراة والإنجيل فاتتهم هذه الحقيقة العلمية المعجزة، والذي يهمنا في هذا الأمر أن القرآن جاء بأمور لم يأت بها الكتاب المقدس.

٤. ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾:

ونأتي إلى قضية أخرى لها علاقة وثيقة بالجنين ألا وهي قضية الرضاعة؛ حيث إنها من الإعجاز العلمي البليغ في القرآن الكريم، ولا إشارة إليها في الكتاب المقدس، يقول تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ (البقرة: ٢٣٣)؛ أي أن الإرضاع الأمثل يتحقق من لبن الوالدة الأم، وليس من لبن المرضعة أو من الإرضاع الاصطناعي، وذلك لمدة سنتين كاملتين.

وقد أوحيت هذه الآية الكريمة إلى النبي ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا قبل أن يَثبُت ويتأكد للطب الحديث أن إرضاع الطفل من ثدي والدته هو الطريق الأقوم لنمو الطفل سليمًا من ناحية الصحة الجسدية والنفسية، وارتباط الطفل وتعلقه بأمه، وبالتالي ترصين العائلة التي هي النواة الأساسية في الإسلام.

وجاء الطب الحديث ليبين أن هذه الآية معجزة طبية؛ فقال مجلس الصحة الدولي ـ مايس١٩٩٢م ـ: "لن يلبي المتطلبات الغذائية للطفل الرضيع أيُّ نوع من الطعام والشراب حتى الماء؛ سوى لبن الوالدة الأم".

ونشرت المجلة البرازيلية سوبَرِنترسانت "***Superinteressante***" أن نصف الأمهات البرازيليات يتوقفن عن إرضاع أطفالهن بعد الشهر الثاني من الولادة؛ ولهذا يموت الأطفال من الإسهال الذي كان بالإمكان وقايتهم منه لو استمر الأطفال على الرضاعة.

وعرضت كل من قناتي التلفاز "بي ـ بي ـ سي" و "آي ـ تي ـ في" في ١٧ تموز ١٩٩٩م هذا الخبر: "أظهرت دراسة علمية ألمانية أجريت على (٩٣٥٧) طفل بعمر ٥و٦ سنوات بأن نسبة عالية من مجموعة الأطفال الذين لم ترضعهم والداتهم أُصيبوا بالبدانة؛ بينما مجموعة الأطفال الذين أرضعتهم والدتهم لفترة طويلة لم يصابوا بهذا الداء، وعليه أكدت الدراسة ضرورة إرضاع الطفل من ثدي والدته ولفترة طويلة نسبيًّا".

وقام الدكتور هيوغ جولي ***"Hugh jolly"*** بعمل مسح ميداني على عدة أمهات، تأكد له منه أن فترة الرضاعة المثلى هي سنتان، يقول: "كنت أتصور في البدء أن

---

١. معجزات القرآن العلمية في الإنسان: مقابلة مع التوراة والإنجيل، عبد الوهاب الراوي، دار العلوم، عمان، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص١٤٩.

السنة الأولى من عمر الطفل تعتبر حيوية لتغذيته من لبن أمه، على حين وجدت من المسح الميداني أن عدة أمهات استمررن على رضاعة أطفالهن لغاية السنة الثانية، فكان الأمهات يُرضعن أطفالهن في الصباح الباكر وقبل موعد النوم، إن عناصر التغذية في لبن الأم متوازنة وأقل سمنة من لبن البقر الذي يُحدث أضرارًا في صحة الطفل".

إذن أثبتت هذه المكتشفات العلمية ـ التي ذكرنا بعضًا منها ـ أن إرضاع الأم لطفلها فترة طويلة ـ عامين كاملين حسب ذكر القرآن الكريم ـ من شأنه إنشاء طفل صحيح العقل والبدن، لا يعاني من كثرة الأمراض والأوبئة.

فهل أخذ القرآن هذه المعلومة الإعجازية من الكتاب المقدس؟ لننظر ماذا قالت التوراة والإنجيل في الرضاعة، يقول الأستاذ عبد الوهاب الراوي: جاء في التوراة ذكر الرضاعة والفطام بصيغ عابرة تخلوها الدقة وتخص مناسبات رضاعة لأشخاص معينين، في حين لم يأت في الإنجيل ذكرهما أبدًا، وهذه أمثلة عن الرضاعة والفطام من نصوص التوراة، منها: "ويكون الملوك حاضِنيك وسيداتهم مرضعاتك ـ المقصود يعقوب عليه السلام". (إشعياء ٢٣: ٤٩)، "فأخذت نُعمي الولد (عُبيد) ووضعته في حضنها وسارت له مربية". (راعوث ٤: ١٦)، "أَلِلْمَفْطُومون عن اللبن، لِلمفصولين عن الثدي". (إشعياء٢٨: ٩)، "فكبُر الولد وفُطم وصنع إبراهيم وليمة عظيمة يوم فِطام إسحاق" (تكوين ٢١: ٨)، "وماتت دَبُورَةُ مُرضِعة رِفْقَةَ" (تكوين ٣٥: ٨).

من خلال هذه النصوص لا نجد في التوراة والإنجيل ذكرًا للتأكيد على أهمية الرضاع من الأم وليس من غيرها، وأن يستمر الرضاع مدة عامين كاملين، كما أكد القرآن على ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، وقوله تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ (لقمان: ١٤)، وقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف: ١٥) ـ وإنما نجد ذكرًا عابرًا للرضاعة والفطام في مواضع من حكايات التوراة، ونلاحظ أن المربيات هن اللائي يقمن بالرضاعة وليس الأمهات[1].

وإذا كان قد اجتمع عندنا أمران مهمان؛ الأول منهما أن القرآن بيَّن خطأ الكتاب المقدس في ذكره أن الجنين يتكون من دم الحيض مع مني الرجل، وهدم خرافات اليهود التي من أشهرها أن إتيان الرجل زوجته من ورائها يجعل الولد أحول، والثاني أنه أتى بأشياء كثيرة شهد العلم الحديث بصحتها فكانت إعجازًا علميًّا، وهذه الحقائق لا نجد لها إشارة في الكتب المقدسة السابقة، بل ذُكرت ذكرًا عابرًا دون نص على الحقيقة ـ نقول: إذا كان الأمر كذلك فكيف يُدعى أن الإسلام أخذ علم الأجنة ممن سبقه؟!

١. انظر: معجزات القرآن العلمية في الإنسان: مقابلة مع التوراة والإنجيل، عبد الوهاب الراوي، مرجع سابق، ص١١٤: ١٣٠.

وبعد هذا العرض لتوضيح أن ما ذكره القرآن عن علم الجنين من عند الله تعالى، وليس مأخوذًا من كلام البشر ـ نرى أنه من المفيد أن نورد تلخيصًا سريعًا يجمل ما سبق:

- قسم العلماء علم الأجنة إلى ثلاث مراحل أساسية؛ الأولى: المرحلة الوصفية، وتستمر منذ بدايته حتى القرن التاسع عشر الميلادي، والثانية: مرحلة علم الأجنة التجريبي، وتبدأ من نهاية القرن التاسع عشر حتى الأربعينيات من القرن العشرين، والثالثة: هي مرحلة التقنية واستخدام الأجهزة وهي التي نعيشها الآن.
- لم يكن هناك في زمن الرسول ﷺ ولا قريبًا منه ما يمكن أن تُستقى منه بالخبرة البشرية هذه المعلومات العلمية الدقيقة والموجودة في القرآن والسنة.
- فعند المصريين القدماء انتشرت الخرافات والتخمينات فيما يخص علم الجنين؛ فكانت خرافة مشيمة الملك، وتلاوة النساء رقى وتمائم عند الحمل والولادة لتسهيل عملية الولادة إلى غير ذلك من الخرافات التي لا تمت إلى العلم بصلة.
- واعتقد الهنود قديمًا أن الجنين يتكون من اتحاد الدم والمني، وذكروا مراحل لنمو الجنين تتنافى تمامًا مع الحقيقة، وتدل على دور الخيال في فهم هذه المراحل لديهم.
- أما اليونانيون فهم أول من ربط العلم بالمنطق، ورغم ذلك ظلت تعليلاتهم بعيدة عن الحقيقة؛ فقالوا بخلق الجنين من مني الرجل ودم الحيض، وقدموا خلق اللحم على العظام، وكلها أخطاء بيَّن بطلانها القرآن، ثم جاء الطب الحديث فأكد بطلانها أيضًا.
- أكد علماء الإسلام قديمًا أن القرآن خالف ما كان سائدًا في تلك العصور عن خلق الجنين، ومن هؤلاء العلماء ابن حجر وابن القيم والقرطبي.
- كان علم الطب في قوم النبي ﷺ قبل بعثته ضعيفًا جدًّا، وإن كان فيهم أطباء معروفون مثل الحارث بن كلدة؛ إذ كان مرتبطًا بالسحر، واقتصر على الوسائل البدائية، مثل الكي والفصد والبتر، وأما علم الأرحام والجنين فلم يعرف منه العرب إلا ما تعلموه من اليهود على ما به من اعتقادات خاطئة.
- إذا كان هذا هو حال القوم الذين نشأ فيهم النبي ﷺ، فمن أين له هذه العلوم وهو أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب؟ بالإضافة إلى أن الذي اشتهر بالصدق والأمانة ما كان له أن يترك الكذب على الناس ويكذب على الله ﷻ.
- إن هذه الإشارات العلمية في القرآن الكريم لم يكن لها أي أثر في الدعوة إلى الإسلام في عهد نزوله، فما الحاجة إليها عند النبي ﷺ في ذلك العهد حتى يقوم بتأليفها؟! وهذا دليل كافٍ على أنه من كلام الله رب العالمين.
- إن نظرة عَجْلى إلى ما يوجد في الكتاب المقدس من معلومات خاطئة مأخوذة من النظريات البشرية التي كانت منتشرة حين جُمعت أسفار هذا الكتاب ـ لتدل على أن الإسلام لم يأخذ منها شيئًا، وإنما جاء بعلم لم يكن ليأتي إلا من عند رب عليم خبير.
- ذكر العهد القديم أن الجنين يتكون من دم الحيض السائل، وليس للسائل

المنوي إلا دور ثانوي في تكوين الجنين، وذلك في قوله ". . ألم تصبنى كاللبن، وخثَّرتني كالجبن..."، وهذه هي نظرية أرسطو التي كانت سائدة في عصره، والتي قالت بأن الجنين يتخلق من دم الحيض حين يقوم المني بعقده، مثلما تفعل الأنفحة باللبن فتحوله إلى جبن.

- جاء القرآن مخالفًا لكل هذا وأكد أن الجنين يتكون من النطفة الأمشاج التي تجمع بين نطفة الرجل ونطفة المرأة، ولا علاقة لدم الحيض بالجنين، بالإضافة إلى أن القرآن ذكر بقية المراحل بدقة بالغة، وهى (النطفة ـ العلقة ـ المضغة ـ العظام ـ اللحم)، ولم ترد أية إشارة إليها في الكتاب المقدس، فأين التشابة إذن بين الكتاب المقدس والقرآن؟!
- ذكر العهد القديم أن خلق الجلد واللحم يكون قبل العظام والعصب؛ فقال: "كسوتني جلدًا ولحمًا فنسجتنى بعظام وعصب"، بينما قال القرآن: "فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا"، وهذا ما أثبته العلم الحديث، فأين ما أخذه القرآن من الكتاب المقدس في هذا الأمر؟!
- كانت اليهود تظن أن الرجل إذا جامع امرأته من ورائها ـ أي: في قبلها ـ جاء الولد أحول، فنزل قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، فقطع بذلك دابر هذه الخرافة بعد بيان بطلانها.
- إن في تقديم السمع على البصر في القرآن الكريم إعجازًا علميًّا يتضح بعد أن أثبت العلم الحديث أسبقية خلق السمع على البصر، فهل أخذ القرآن الكريم هذا الإعجاز من الكتاب المقدس؟ بالطبع لا، فلم يرد تقديم السمع على البصر إلا في موضع واحد من الكتاب المقدس لا يثبت ترتيبًا، وإنما هو إشارة عابرة، القصد منها بيان أن الأذن تسمع والعين تبصر، أما الباقي فقدم البصر على السمع فيها.
- لقد أثبت العلم الحديث أن إرضاع الطفل من أمه لمدة طويلة (عامين) تحمي الطفل من كثير من الأمراض التي قد تؤدي إلى وفاته، وأنه أفضل غذاء للطفل في هذه الفترة، وذلك تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، ولم يرد في الكتاب المقدس إشارة إلى فائدة لبن الأم، وإنما هي إشارات عابرة تفتقد الدقة تخص مناسبات رضاعة لأشخاص معينين، غالبهم من المربيات وليس الأمهات.

MUSLIM WORLD LEAGUE رابطة العالم الإسلامي

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسُنّة

INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

إحدى هيئات رابطة العالم الإسلامي ذات الشخصية الاعتبارية المستقلة؛ تسعى لإظهار أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والعمل على نشرها. أنشئت بقرار من المجلس الأعلى العالمي للمساجد في دورته السادسة لعام ١٤٠٤ هـ، لتوفر وسيلة معاصرة للدعوة الإسلامية تقدم بها البرهان الساطع والحجة البالغة على صدق الرسالة المحمدية من خلال العلم؛ هذا الشاهد العدل الذي ارتضاه عالمنا المعاصر حكماً ومرجعاً.

الـرؤيـة

هيئة عالمية رائدة . . لمعجزة نبوية خالدة.

الـرسـالة

تحقيق أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وإظهارها للناس كافة.

الاستراتيجية

- مرجعية شرعية وعلمية لعلوم الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- نشر وإبراز أوجه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- تنمية الموارد المالية و تنويع مصادرها.
- استخدام التقنيات الحديثة وتطويرها لخدمة برامج وأهداف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

رقم حساب الهيئة بالبنك الأهلي التجاري

SA751 0000000 155055 000109

www.eajaz.org e-mail: info@eajaz.org